اسم الدرس : تفسير سورة الأعراف (٦) | الآيات [٣٢ : ٤٣]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

نستكمل بإذن الله عزّ- وجلّ- ما بدأناه من وقفات مع سورة الأعراف.

كنا قد توقفنا عند الآية ٣٢، وقبل أن نكمل، سنقوم بمراجعة سريعة للمعاني التي ذكرناها في المرة الماضية، وخاصة أنّ الدكتور حازم جزاه الله خيرًا قد أشار إليّ في بعض الوقفات -وإنه لشرفٌ كبير لنا أن يحضر الدكتور حازم الدرس معنا، وهو صاحب فضلٍ عليّ بعد والدي، وأوّل من شدّ أزري ودفعني إلى الاهتمام بالقرآن فجزاه الله عني خيرًا-.

حيث أشار إلى بعض الإشارات في مسألة تنويع الشيطان لمداخله على حسب حالة الشخص:

فالشيطان قد يبدأ مثلًا بمسألة الشبهة القدرية أو الشبهة الشرعية {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ}[الأعراف:٢٠]؛ فيجعل الإنسان يتساءل: لماذا أمرنا ربنا بفعل كذا؟ ولماذا قدّر علينا كذا؟ وهذه الشبهة قد تؤدي بالإنسان -في حال استمرأ الوضع واستمر- إلى إساءة الظن بالله، والخروج من الدين أصلًا؛ فالإنسان بجهله قد يتهم الرب -سبحانه وتعالى-، وهذا المدخل يسلكه الشيطان مع الناس البعيدين عن الدين.

بينما الناس الذين دخلوا في الدين، وبدؤوا يؤدّون بعض الطاعات، لكنهم ما يزالون غير متمكّنين، ولم يعملوا لدين الله بعد، فإن الشيطان قد يجعلهم يقعون في الفحشاء والمعاصي؛ فهو ينوّع المداخل على حسب الأشخاص الذين يتعامل معهم.

وأما النوع الثالث من الناس؛ وهم الذين يعملون للدين ويتواجدون في المساجد، فمن الممكن أن يجعلهم يرتكبون المعصية نفسها داخل المسجد، فالتعري عند الطواف كان داخل الكعبة، أو يدفعهم إلى قضية التعصّب للمساجد، وقد أشار الدكتور حازم إلى هذه القضية في قوله سبحانه: {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}[الأعراف:٢٩].

وهذا المعنى قد رجحه بعض السلف وأشاروا إليه بالفعل؛ فهو مروي عن ابن عباس والضحاك، واختاره ابن قتيبة: أنه إذا ما حضرت الصلاة، فليصلِ أحدكم في أي مسجد؛ ولا يقولنّ لا أصلي إلا في مسجدي، وقال البعض بأنه لا ينبغي أن ترفض الصلاة في المسجد القريب من بيتك، أو في المسجد الذي كنت مارًّا بجواره عندما حضرت الصلاة؛ لأنك تريد الصلاة في مسجدٍ آخر، يفضل أن لا تخصّ المساجد بنوعٍ من التعظيم طالما أنّ الله -عزّ وجلّ- لم يخصها بشيء.

فالمساجد إنما جُعلت لتجمع المسلمين في صلاة الجمعة والجماعة، -المسجد الجامع الكبير في صلاة الجمعة والمساجد عامة في صلاة الجماعات-، ولإقامة الوجوه لوجه الله -سبحانه وتعالى-؛ وأن لا ندعوا مع الله أحدًا، فلا ينبغي أن نجعلها من

أسباب التفرق، ونقول هذا مسجد فلان، وهذا المسجد تابعٌ للجماعة الفلانية..، فتجد الناس لا يصلون في بعض المساجد، وتصبح المساجد من أسباب التفرقة، بدلًا من أن تجمعنا.

فالشيطان قد لا يلعب على وتر الفاحشة أو وتر الشهوة فحسب، وإنما قد يلعب على مشاعر الغضب والتعصب لشخصٍ أو شيخٍ أو جماعةٍ أو مذهب، وهذا التعصب لا بد أن ننفيه بين المسلمين، ولا سيما في المساجد، لأنها جُعلت لتجمعنا على الخير والطاعة، فقال ربنا -سبحانه وتعالى-: {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}[الأعراف:٢٩]؛ فالقضية إذًا لا تنحصر في مسألة الإخلاص وإقامة الوجه.

وسبق أن ذكرنا أنّ إقامة الوجه هي: أن يكون الوجه خالصًا لله -سبحانه وتعالى-، ونحن عندنا في القرآن "يسلم وجهه"، و"يقيم الوجه"، و"يوجّه وجهه"، (إني وجهت وجهي)، وكلها تعني أن يكون الوجه خالصًا لله تعالى.

وهنا "الإقامة" تفيد معنى الاستمرار والدوام؛ أي أن يكون الوجه خالصًا لا يلتفت لغير الله -سبحانه وتعالى-، وثابتًا على الإخلاص، وربنا سبحانه لم يقل: "وأقيموا وجوهكم عند المسجد"، وإنما قال: {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} فمسألة "إقامة الوجه" تفيد الإخلاص، و"عند كل مسجد" تنفي التعصب.

{وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}[الأعراف:٢٩].

أيضًا في قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا}[الأعراف:٣١] ذكرنا مسألة أنّ على الإنسان أن يعظّم الطاعة، ويتعامل مع الطاعات بتفخيم واحترام؛ فيأتي إلى أماكن الطاعة متزينًا، وكما قلنا أنّ هناك بعض الناس لم يكن عندهم تصوّر عن كيفية الجمع بين الطاعة والتزين؛ فهم يعتقدون أنّ الطاعة ملازمةٌ دائمًا للتقشف والزهد والجوع والعطش، لكنّ هذه الأشياء أحيانًا تجعل الإنسان يضعف عن الطاعة -كالجوع والعطش مثلًا-، فالإنسان يريد أن يتقوى على فعل الطاعة، فيأتيه الشيطان ويوسوس له بأن يدع الطعام والشراب -وهو الزاد الذي يتقوى به- فيضعف أساسًا عن فعل الطاعات.

والمشهد كله -طبعًا- يتكلم عن قضية التعري أثناء الطواف، وكيف أنّ الشيطان نجح في المعركة الأولى مع أبينا آدم في قضية الأكل من الشجرة؛ مما أدى إلى التعري، ثم نجح مع المتأخرين بأن جعل التعري داخلًا ضمن الطاعة.

والمروي في أشهر أسباب النزول لهذه الآية: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أنه ردٌّ على من يطوف عريانًا، وأنه ينبغي لنا أن لا نقلدهم.

وجاء أيضًا في بعض أسباب النزول -وفي نفس السياق-: أنّ المشركين لما طافوا عراة، فأعرض عنهم المسلمون، ولم يقلدوهم؛ بل أخذوا زينتهم وطافوا بثيابهم، أخذوا يعيِّرون المسلمين، فهل تتخيّل ذلك؟!

تخيّل هذا التطور! كيف أن الأمر بدأ أولًا بفاحشة، ثم أصبح أمرًا مجتمعيًّا مقبولًا {وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا}[الأعراف:٢٨]، وبعد ذلك أصبح دينًا، ثم أصبح من يخالف الفاحشة هو الذي يُعيّر!.

تصوّر أنه بينما هم جالسون في المسجد، يأتي شخصٌ ليطوف وهو متزيّنٌ ومرتدٍ لثيابه، فيبدؤون بالسخرية منه؛ لأنه مرتدٍ لثيابه! فهنا قد يحس المسلم بنوعٍ من الضغط النفسي، ويتساءل عن الخطأ الذي ارتكبه بارتداء ثيابه أثناء الطواف، وهذا الضغط النفسي قد يجعل بعض الناس تستجيب لهم.

كما أصبحنا اليوم نرى بعض الناس يستهزؤون بالمنتقبة وتُمنع، وقد يكون من يستهزئ بها امرأة متبرجة في قمة التبرج! وأصبحنا نجد أنه كلما ازدادت المجتمعات رقيًّا وتقدّمًا دنيويًّا، ازدادت تعييرًا للمنتقبات.

وليس ما يحدث الآن في الدول الأوروبية ببعيد عنا؛ من منع فرنسا للنقاب، ومهاجمة المنتقبات؛ فهناك الآن حرب شرسة سواء في الخارج أو في الداخل على النقاب، وأسئلة كثيرة ترد إلى الدعاة والمشايخ من منتقبات يذكرن فيها ما يعانينه في الخارج، ويسألن عن مشروعية خلع النقاب بسبب الضغط الذي يتعرضن له.

ونحن ينبغي أن نقابل هذه الهجمة بتعظيم النقاب، فهناك فارق بين فتوى خاصة لأخت من الأخوات تمر بضغوط معينة لا تستطيع معها أن تتحمل قضية النقاب، فيفتى لها بخلعه في أضيق الأطر، وبين أن يكون ذلك طرحًا عامًّا؛ فيُهوِّن، وتهون قضية النقاب عند الناس والمجتمع.

ولا ينبغي أن نقابل كل هجمة على جزئية من الدين -حتى لو كانت على الاستحباب- بالتنازل عنها بكل سهولة؛ فما الذي سيبقى من الدين إذًا؟، ولا سيما أن هذا مدخل أساسي عند الشيطان؛ فهو لا يريد خلع النقاب فحسب؛ وإنما يريد أن يستمر الأمر إلى التعري حتى عند الكعبة!.

فالقضية إذًا؛ أنه يقع أحيانًا ضغط نفسي على الناس مع أنهم لم يرتكبوا خطأً ما؛ فالمنتقبة تريد أن تنتقب، وهي حرة في أن تفعل ذلك، فلماذا نسمح للمجتمع أن يضعها تحت الضغط وكأنها مجرمة، وتطالب بأن تطرح مسوغات لما فعلت؟

ومثل هذا الضغط كان يقع على المسلم الذي كان يطوف حول الكعبة بثيابه، ونحن ذكرنا سابقًا -في تفسير سورة الأنعام- أن المجتمع في بعض الأحيان يفرض قواعد معينة ليس لها أصل في الشرع، تجعل الإنسان يجد في صدره حرجًا من أشياء مباحة أصلًا.

ففي سورة الأنعام وجدنا أن أحدهم قد يقابل نعمة الله -عزّ وجلّ- التي أعطاه إياها عندما رزقه ببنت بقتلها، وهو سعيد بتخلصه منها؛ فتخيل أن وجهه يسود إذا رزق ببنت، ويفرح إذا تم التخلص من هذه النعمة! ولماذا يحدث ذلك؟! بسبب الضغط المجتمعي؛ حيث أصبحوا سفهاء، وزين لهم الشياطين قتل أولادهم.

فالمجتمع أحيانًا يفرض نوعًا من الضغوطات، ونحن ينبغي لنا أن نواجه هذه الضغوطات، ولا نسمح لها بالانتشار، طالما أن هذا الضغط يحلل حرامًا، أو يحرم حلالًا، ولا بد أن يقوم أهل الدين بمدافعة هذا الضغط حتى يعود الأمر مستساغًا مرة أخرى، فيعود النقاب -مثلًا- أمرًا مقبولًا مجتمعيًّا، ولا بد أن يحدث نوع من أنواع المدافعة لكل أمر من أوامر الشريعة.

فإذًا؛ نزل قوله تعالى -في ما روي عن بعض السلف-: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ}[الأعراف:٣٢] ردًّا على من يحرم على المسلمين لبس الثياب عند الطواف؛ فكيف لهم أن يحرموا زينة الله التي أخرجها لعباده وليعبدوه بها؟!

{وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}

ثم بيّن ربنا -سبحانه وتعالى- أن الحرام ليس هو ما يقولونه، وإنما الحرام ما حرّمه الله -عزّ وجلّ-: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ} وهذا نموذج لبيان ما يجب أن يقوم به أهل الدين عندما يحدث تدليس في أمر من الأمور.

وكما ذكرنا في المرة الماضية: أنه عندما يحدث خلط بين الشعيرة -قضية الطواف-، وبين نوع من المعاصي، أو الشركيات -وضع إساف ونائلة على الصفا والمروة، أو الطواف عريانًا-، ينبغي لأهل الدين أن يقوموا بالتبيين، والفصل، والتمييز، والتوضيح.

وهنا جاء التوضيح: {إنما حرم ربي الْفَوَاحِشَ} الفواحش أولًا، {مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}[الأعراف:٣٣] أيًا كانت نوع الفاحشة، سواءً كانت الفواحش كالطواف عريانًا أمام الناس، أو فاحشة في الخفاء؛ حيث قيل أن "ما بطن" يقصد بها: الزنا أو المتخذات أخدان.

{حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ}؛ أي: كل معصية، فالقضية لا تقتصر على الفاحشة، وإنما تشمل كل معصية نهانا الله -عزّ وجلّ- عنها؛ حتى لو لم تظهر لنا في صورةٍ فاحشة ومستنكرة، فطالما أن الله -عز وجل- نهى عنها فهي معصية، ويأثم الإنسان بها.

{وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ}؛ وهنا نجد بعض العلماء يقولون بأنه يوجد نوع من الترقي في المعاصي؛ حيث بدأ بالفواحش ما ظهر منها وما بطن، ثم عموم الإثم، وبعد ذلك انتقل إلى الدرجة الأعلى من الإثم؛ وهو البغي والظلم، وظلم الناس -أحيانًا- يكون أشد بكثير من معصيةٍ في خاصة نفسه.

فإذًا؛ بدأ بالإثم الذي هو المعصية في خاصة نفسه، ثم البغي الذي يستطيل فيه على الناس؛ فيأخذ أموالهم، ويأكل أرزاقهم {وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بغير الحق}.

وانتقل بعد ذلك من حقوق الناس إلى حقوق الرب، وقضية حق الله -سبحانه وتعالى- من الكلمات المهجورة التي لا نتكلم عنها الآن، في حين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد سأل معاذًا: (أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟)[1]، فنحن دائمًا نتكلم عن حق العباد دائمًا، وحقوق البشر، ولا نتكلم عن حق رب البشر علينا وعلى الناس.

{وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا}؛ وهذا هو أشد البغي، وأعظم الإثم؛ أن تشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، والأشد من ذلك أن تضع نفسك مقام الرب وتشرِّع {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}؛ وهذه أكبر جريمة؛ أن يضع الإنسان نفسه مكان الملك -سبحانه وتعالى-، ويضع تشريعًا، ويلزم الناس به، وأن يتقوّل على الله؛ بأن ينسب للدين ما لم يتكلم به الله -عزّ وجلّ- أو ينزله: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[الأعراف:٣٣].

[1] [عن معاذ بن جبل:] كُنْتُ رِدْفَ رَسولِ اللهِ صَلّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ على حِمارٍ، يُقالُ له: عُفَيْرٌ، قالَ: فقالَ: يا مُعاذُ، تَدْرِي ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللهِ على العِبادِ أنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ على اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا، قالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، أفَلا أُبَشِّرُ النّاسَ، قالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٣٠ • [صحيح]

فهم قد فعلوا كل شيء؛ ارتكبوا الفاحشة، وبغوا على المسلمين، ثم نسبوا هذه الفاحشة إلى الله، ووضعوا الأصنام في الكعبة؛ فأشركوا، ونسبوا الفاحشة إلى الدين، وقالوا: {والله أمرنا بها}، وبعدما اتبعوا هذه المنظومة، جاء النهي التفصيلي عن كل ما فعلوه: {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}؛ وهي الكبيرة والعياذ بالله.

وأنت أحيانًا عندما تسمع مثل هذا الكلام، وتعلم أنهم قد أشركوا، وطافوا عراة قد تستعجل وتتوقع أن ينزل عليهم العذاب مباشرةً كأن تخسف بهم الأرض -مثلًا-، لأنّ الإنسان عنده نوع من العجلة؛ فهو بمجرد ارتكاب المعصية يريد أن يعاجل الله الظالمين بالعقوبة، لكنّ هذا ليس من سننه -سبحانه وتعالى-: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ}؛ فكل أمة قد قدّر الله -سبحانه وتعالى- لها أجلًا لنزول العذاب، وكل فرد له أجله الخاص به وحده.

والأمة هي: مجموعة اجتمعت على فكرة معينة، ونصرت قضية معينة، وهذه الأمة قد ينزل عليها عذاب استئصالي لها، لكنّ هذا الأمر توقف من بعد بعثة موسى عليه السلام، ونزول الكتاب عليه، كما رُوي في بعض الآثار عن النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ أنه من بعد نزول الكتاب لم يعد هناك عذاب استئصال عام كما كان يحدث للأمم السابقة.

وقد شرحت هذا الأمر في مقدمة سورة الإسراء في درس "ولولا أن ثبتناك" -لمن يريد الرجوع بالتفصيل لهذه القضية-؛ حيث تم تقسيم المرحلة الزمنية من خلق آدم إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: من عهد سيدنا نوح إلى بعثة موسى، وهذه المرحلة كان يحدث فيها إهلاك للظالمين بطريقة معينة.

والمرحلة الثانية: من بعد بعثة موسى، ونزول التوراة، والأمر بالجهاد، إلى عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهنا كانت المعاملة مختلفة؛ فمن الممكن أن ينزل عذاب خاص بأقوام، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الإهلاك استئصاليًّا، فبعضهم قال أنّ ما حدث لهم في بدر، كان نوعًا من أنواع العذاب الذي أنزله الله -عز وجل- عليهم، وكذلك كسر شوكتهم كما حدث في فتح مكة.

إذًا؛ لكل أمة أجل قدّره الله -عز وجل- عليها، فلا تتعجل نزول العذاب عليهم، كما أنّ هناك فرقًا بين معاملة ربنا للأفراد ومعاملته للأمم، وقد ذكرت ذلك في الدرس الأخير من تفسير سورة فاطر -لمن أراد الرجوع-؛ حيث أن لله -عزّ وجلّ- سُننًا في معاملة الأفراد تختلف عن سننه في معاملة الأمة كمجموع.

فمعاملة ربنا للفرد في وسط مجموعة تختلف عن معاملته للأمة، وقد سألت أم سلمة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقالت: أنهلك كمجموع وفينا أفراد صالحون؟، قال: (نعم، إذا كثر الخبث)[٢] .

وهؤلاء الأفراد الصالحون الذين يعيشون في مجتمع فاسد إذا بذلوا وسعهم، فإن الله –عز وجل– يجعل عليهم النار بردًا وسلامًا، لكنهم يؤاخذون مع المجموع، ثم يبعثون على نياتهم، فيمر عليهم البلاء بردًا وسلامًا، كأنهم في نار إبراهيم؛ لأنهم بذلوا وسعهم.

أما إذا لم يبذلوا وسعهم، وقصّروا، فينالهم ما ينال الآخرين من عذاب، ولكن حسابهم يوم القيامة يكون مختلفًا عن الآخرين. إذًا معاملة الله للأمة يختلف عن معاملته للأفراد.

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[الأعراف:٣٤]، وقد قال البعض أن إضافة الألف والسين والتاء تفيد الطلب؛ أي: حتى لو طلبوا التأخير، أو التقديم لايستجاب لهم {لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} .

ثم يأتي الأمر الرابع "يا بني آدم"، وقد مر معنا ثلاثة نداءات "يا بني آدم"، وهذا هو النداء الرابع: {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ} لماذا تلجؤون إلى شريعة غير شريعة الله؟ قد جاءتكم رسل من عند الله، فلِمَ تطوفون عراةً، وتبتدعون دينًا، وتخترعون أشياء تتقربون بها إلى الله –عز وجل–، بعد أن أرسل إليكم الرسل؟

{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي}[الأعراف:٣٥] وقد ذكر بعض العلماء أنّ كلمة "يقصّون" معناها يتلون عليكم آياتي، وقال البعض الآخر أنّ "يقصّون" من القصص ومتابعة الأثر؛ فإنهم يأتون إليكم بآية تلو آية، وآيات متتابعات متتاليات، وكذلك ينبغي على الداعية حينما يبلغ الناس أن يبلّغ الآية تلو الآية؛ آيات متتاليات مفصلات واضحات، حتى يتبع الناس ما ينزل إليهم من ربهم.

بينما قال آخرون بأن القصص تعني توصيل الشيء كما هو تمامًا؛ فأنت عندما تمشي على أثر أحدهم تضع قدمك على نفس الأثر؛ أي: تقص الأثر، فهم قد بلغوا ما نزل إليهم من ربهم دون تغيير أو تحريف أو تبديل، وكأنّ هذه إشارة إلى أنه

[٢] [عن زينب أم المؤمنين:] اسْتَيْقَظَ النبيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وجْهُهُ يقولُ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه وعَقَدَ سُفْيانُ تِسْعِينَ أوْ مِئَةً قيلَ: أنَهْلِكُ وفينا الصّالِحُونَ؟ قالَ: نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧٠٥٩ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠)

ينبغي على الدعاة إلى الله أن يبلغوا ما نزل إليهم من ربهم دون تحريف أو تبديل أو تغيير {يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي} فالله –عز وجل– شهد للرسل بالأمانة؛ أي أتاكم الدين كاملًا غير ناقص.

{يقصون عليكم آياتي فَمَنِ اتَّقَى} أي: ما نهى الله –عز وجل– عنه، وطبق شرع الله؛ وبالتالي حدث الإصلاح {فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} لاخوف عليهم فيما يأتيهم في المستقبل بعد الممات، أو في مستقبلهم في حياتهم، ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا –في حال كان الكلام هنا عن لحظة الموت–.

أما الصنف الثاني عندما أتتهم الرسل {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}.

ونحن ذكرنا أن لفظة "الآيات" متكررة كثيرًا في سورة الأعراف، وأن أكثر سورة تكررت فيها هذه الكلمة هي سورة الأعراف، وقلنا أن من محاور سورة الأعراف التعامل الخاطئ مع الآيات؛ فهناك أناس كذبوا بالآيات، وهناك أناس أعرضوا عن الآيات، وهناك من استكبر عن الآيات، ومن جحد بالآيات، وهناك من انسلخ من الآيات بعد أن آتاه الله إياها، وكل هذا موجود في سورة الأعراف؛ التعامل الخاطئ مع الآيات.

لذلك أيضاً من الكلمات التي تكررت كثيرًا في هذه السورة قضية الاتباع؛ حيث ينبغي لنا أن نتبع الآيات {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}[الأعراف:٣]، وكذلك قضية الشكر، فهناك خمسة أو ستة محاور تتكرر معنا على طول السورة، ونحن نريد دائمًا أن نستحضر هذه المحاور.

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا} فهو لا يكذب بالآيات فحسب، وإنما هو متكبر عنها، ولا يريد أن يسمعها {وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[الأعراف:٣٦]، وبعد هذه الآية مباشرة يأتي ذكر من افترى على الله كذبًا {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}.

إذًا؛ يوجد رسل يقصون الآيات على الناس، وهو يريد أن يضع نفسه في مقام الرسل، و يشرع آيات أخرى، فيقول الله –عز وجل–: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}[الأعراف:٣٧] .

فهناك صنفان من الناس ينازعون الرسل، وبالتالي سينازعون الدعاة أيضًا؛ وهما:

الصنف الأول: يخترع دينًا و يبلغه للناس.

والصنف الآخر: يعين الناس على التكذيب بالدين، تمامًا كما في: {وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[الأعراف:٣٣].

وهذان الصنفان من الناس الذين يتعاملون تعاملًا خاطئًا مع الآيات؛ ممن يخترعون دينًا وآياتٍ، ويقولون عن الفحشاء {وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا}، أو ممن يعينون الناس ويساعدونهم على التكذيب بالدين، يقول ربنا عنهم أنهم أظلم الناس {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}.

ونسبة تبديل الشرع إلى الظلم قضية مهمة جدًا؛ لأن الناس عادةً عندما يتكلمون عن الظلم، فهم يقصدون به الظلم الواقع عليهم، والذي يعيشونه ويعانون من ويلاته، ولا يتكلم أحد عن ظلم الناس في حق الله، وأن من الظلم الواقع علينا أساسًا تنحية الشرع، فهذا من الأشياء التي لا يتكلم عنها أحد، كأنه ليس من الظلم، وكأن قضية الظلم تقتصر على قضية المال، مع أن الظلم يتجاوز ذلك، وأعلى الظلم {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان:١٣].

فحينما يفكر الإنسان في حق الله يزن الأمور بموازين مختلفة، أما عندما لا يفكر إلا في حق نفسه تجد أن هذه الموازين تختل.

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ} وهؤلاء الناس الذين يكذبون بشرع ربنا، أو يبدلونه، أو يعرضون عنه، ويفترون على الله كذبًا، كل هذه الأقسام موجودة في الآية، هؤلاء: {يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا..}[الأعراف:٣٧].

والعلماء قالوا ما معنى ينالهم نصيبهم من الكتاب؟ فبعضهم قال أن (الكتاب) هو: إما اللوح المحفوظ، أو الكتاب الذي هو القرآن.

فإذا كان المقصود به اللوح المحفوظ؛ يكون معنى {أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ} أي: ينالهم نصيبهم من أقدار الله، لأن الأقدار مكتوبة في اللوح المحفوظ.

أما عند من قال بأن الكتاب هو القرآن، يصبح المعنى: ينالهم نصيبهم مما ذكر الله –عز وجل– في القرآن.

فهؤلاء لهم نصيب معين، إما من الأقدار –إذا كان الكتاب هو اللوح المحفوظ–، أو من الوعود –إذا كان الكتاب هو القرآن– .

فما هو "النصيب"؟ فقد قال بعض العلماء أنه: العذاب؛ فالذي يشرع غير شرع الله –عز وجل–، أو يعرض عن شرعه، لا بد أن يصيبه نصيبه مما قدر الله من العذاب، أو من العذاب الذي أخبرنا الله به في القرآن، لكنّ بعض العلماء طرحوا إشكاليةً

هنا؛ بأنّ هناك مِن الناس مَن يظلم، ويفتري، ويغيّر الشرع، ويعرض عنه، ثم يموت دون أن ينزل عليه العذاب، فكيف يحدث مثل ذلك؟!

ولقد تكلمنا في المرة الماضية عن أنّ مَن يحاول أن يتدخل في تفسير الآيات، وينسبها إلى الإعجاز العلمي، ويتعجل في ذلك، قد يجعل بعض الناس يشكّون في القرآن، فمن الأسباب التي تجعل الناس يشكّون في الدين؛ أنّ أحدهم قد يتعجل، ويقول برأيه في أمر ما في القرآن، وينسب الآيات إلى شيء من الإعجاز العلمي المعاصر، ثم يتبدل الإعجاز العلمي الذي كان موجودًا؛ حيث كان مجرد نظرية ولم يصبح حقيقة، مما يجعل الناس تشك في القرآن.

وهنا في هذه الآية قد يتعجل أحد الناس ويفسر القرآن بشيء يخالف الأقدار التي يشاهدها الناس في حياتهم؛ فيبدأ بالشك في الدين؛ فقد يخرج أحدهم من هذه الآية بقاعدة تقول بأنّ كل مبدل لشرع الله، لا بد أن ينزل عليه العذاب قبل أن يموت.

فتخيل لو أنّ أحدهم خرج من هذه الآية بهذا الفهم، وأنت قد قابلت أكثر من شخصٍ بدّل الشرع، ثم مات ميتة عادية و لم ينزل عليه العذاب!، فما الذي سيحدث للناس؟ سيبدؤون بالشك في الدين، ويتساءلون عن سبب عدم نزول العذاب، مع أن القرآن قال بذلك.

إذًا؛ إما أن يكون هناك تفسير آخر للعذاب نحن لا نفهمه، أو أنّ هناك تفسيرًا آخر للآية؛ لأن هذه الآية من المشكلات. فكيف حلوها؟

{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ} وقد اختار بعض العلماء كي يخرجوا من هذه الإشكالية أنّ معنى "نصيب": عذاب، وأنّ كلمة "الكتاب" معناها: العذاب المذكور في القرآن، أما {جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ}؛ فهذا يحدث يوم القيامة؛ حيث يأخذونهم من المحشر يوم القيامة، ويسألونهم عن الشركاء {أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}؛ وبالتالي يكون العذاب هو ما يلاقونه في سكرات الموت، وفي القبر؛ فلحظة الموت سيتعذب وفي القبر سيتعذب ويوم القيامة سيسأل، فالعذاب هنا لن يكون مشاهدًا.

بينما رأى البعض الآخر بأن يُبقوا {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ} على المعنى الظاهر؛ فتكون هي لحظة الموت العادية، وأن كلمة "نصيبهم" معناها: الأقدار المكتوبة لهم في اللوح المحفوظ من الأرزاق والأعمار، وأن الله لن يعجل لهم العقوبة بمجرد افترائهم على الله الكذب؛ فربنا يقول هنا بأنه عندما ترى أحدهم قد افترى على الله كذبًا، اعلم أن الله لن يعاجله بالعقوبة؛ بل لابد أن ينال نصيبه من الأقدار، وهذا من حلمه سبحانه {أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ}؛ فهو سينال

الأرزاق و الأعمار المقدّرة له إلى أن يموت، ثم يبدأ الحساب والعذاب بعد الموت، وهذا المعنى انتصر له كثير من أهل العلم، ولا سيما المتأخرين منهم كالإمام القاسمي وغيره.

إذًا؛ يصبح معنى الآية {أولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم} أنّ الذين غيروا الشرع وأعرضوا عنه، ستستمرّ أرزاقهم، ويراهم الناس يأكلون ويشربون، فالناس عادةً إذا ما ظهر أحدهم –مثلًا– في برنامج على التلفاز، وأنكر شيئًا من الشريعة، يريدون أن تنزل عليه صاعقة من السماء على الهواء مباشرة بمجرد أن ينطق كلمة الكفر، أو يغير في شرع الله، وإلا فسيكذبون القرآن، ويقولون بأنّ هذا الدين ليس دين حقّ؛ لأنهم يريدون أن تنزل العقوبة مباشرة على كل من يعتدي على الدين، والنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله يدعون له الولد ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم)[٣] .

فمن معاني {أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ} أن الأرزاق والأعمار ستستمر كما هي إلى أن يموتوا ويبدأ الحساب {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ}؛ وهنا يكون قد انتهى الإمهال وبدأت العقوبة، لن يتركون أحدًا، وبداية العذاب هي العذاب النفسي {قالوا}؛ بأن يقال له بأنّه كان يعيش في الوهم {أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}؛ أين هؤلاء الناس الذين كنت تعظمهم، وابتعدت عن الله من أجلهم؟

{أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا} فهم لم يتركوهم فحسب، وإنما اختفوا، ونحن نقول: "ضل اللبن في الماء" عندما نضيف كمية قليلة جدًّا من اللبن إلى كمية مياه كبيرة –برميل مياه مثلًا–؛ فتختفي كمية اللبن هذه.

فكلمة {ضَلُّوا عَنَّا}؛ أي: لم يعد لهم أي أثر.

{ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}؛ وفي هذه اللحظة يعترفون بأنهم كانوا مخطئين، ولكن ولات حين مندم {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ}[يونس:٩١]؛ فهذا ليس وقت الندم. {وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}[الأعراف:٣٧]

[٣] [عن أبي موسى الأشعري:] ما أحَدٌ أصْبَرُ على أذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدَّعُونَ له الوَلَدَ، ثُمَّ يُعافيهم ويَرْزُقُهُمْ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٧٣٧٨ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤) •

{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ}[الأعراف:٣٨]

{قَالَ} أي: قال الله –عز وجل– لهم بعد ما توفتهم الرسل وجاء يوم القيامة، و نحن قد ذكرنا أن من أساليب القرآن الانتقال السريع في المشاهد.

{ادخلوا في أمم}، وقد قلنا أن الآيات بدأت {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ}[الأعراف:٣٤]؛ أمة كاملة أعرضت عن الشرع، فأتاها عذاب الله –عز وجل–، وهذا تحذير لأهل مكة، ولكل أمة تأتي من بعدهم.

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}[الأعراف:٣٧]؛ فربنا يقول لهم سواء بدّلتم الشرع، أو تركتموه كما هو، وأعرضتم عنه؛ ستستمر الأرزاق والآجال إلى أن يأتي الأجل، فإذا جاء الأجل بدأ العذاب والحساب.

{ادخلوا في أمم}؛ أي لستم الأمة الأولى التي تكفر أو تعرض، {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ} فادخلوا النار مجموعة تتجمع؛ لأن "أَمّ الشيء": أي قصَدَه؛ فالأمة مجموعة لها وجهة واحدة، وكلمة "الإمام" تعني: الذي يُقصَد؛ فنحن نتخذ إبراهيم إمامًا؛ أي: نقصد وجهته، ونسير على هديه.

فكلمة "أمة" تعني مجموعة لها وجهة واحدة، فهذه أمة اجتمعت على رفض الشرع، وهناك أيضًا أمم كذلك أعرضت عن شرع الله –عز وجل–، ولكن كان لكل أمة طريقة في الإعراض؛ فمنهم من أشرك، ومنهم من نسب الولد إلى الله، ومنهم من عبد الأصنام، أو أضاف إلى الشرك معاصٍ أخرى كالتطفيف، أو إتيان الرجال كقوم لوط، أو غير ذلك من المعاصي.

وكل أمة ستحاسب؛ فلو أنّ أمة معينة –مثلًا– نسبت إلى الله الولد، ثم أتت بعدها أمة متأخرة في الزمان، وقلدتها، فإن هذه الأمة المتأخرة تدخل مع نفس الأمة السابقة في العذاب؛ فأنتم يا من نسبتم إلى الله الولد، هناك أناس فعلوا مثلكم فادخلوا معهم، وأنتم الذين أشركتم الآلهة مع الله –عز وجل–، ادخلوا مع تلك الأمة، وأنتم الذين نافقتم وحاولتم أن تقفوا بين المسلمين والمشركين ادخلوا مع هذه الأمة؛ فكل أمة تدخل مع الأمة التي شابهتها وأصّلت لها هذا الضلال.

إذًا؛ تنقسم الأمم يوم القيامة –مثلًا– إلى اليهود، والنصارى، والمجوس...، وضمن كل طبقة أمم حسب الفترات الزمنية؛ فمثلًا مجموعة في فترة زمنية معينة نسبوا لله الولد ودخلوا النار، ثم تأتي مجموعة ثانية أيضًا نسبوا لله الولد، لكنها متأخرة عنهم في الزمن، فيدخلوا معهم في نفس المكان في النار، فربنا يقول لهم ادخلوا في النار مع الأمم التي فعلت نفس فعلتكم.

وعندما يدخلون معهم في النار: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا}، وقال جمهور المفسرين: أختها أي المشابهة لها في الدين، وهذا اختيار الطبري، وهو مروي عن السلف.

{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا}؛ فالناس الذين يشابهونهم في الضلال عندما يقابلونهم في النار يلعنونهم {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}[العنكبوت:٢٥]، كما قال سيدنا إبراهيم في سورة العنكبوت، وهو يحذر قومه أنّ هذه المودة والفرح والرضا سينقلب عداوة يوم القيامة.

لماذا تلعن أختها بمجرد أن تدخل؟ لأن هذه الأمة السابقة هي من أضلّت لها الضلال، وكما قال الإمام السُدي: هي التي شرعت لهم الضلال، وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن عذاب أول من أتى بالشرك إلى جزيرة العرب؛ حيث كان أول من سيّب السوائب، ووضع التشريع الباطل، بأنّ له عذابًا شديدًا، فقد وجده النبي -صلى الله عليه وسلم- يجر قصبه وأمعاءه في جهنم؛ لأن هو أول من أدخل الشرك.

فكلما دخلت أمة لعنت الأمة السابقة؛ وقالت لها بأنها هي كانت السبب، ويظل التلاعن والسب والشتم بينهم في جهنم حتى يتجمّعوا مع بعضهم البعض {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا} تجمعوا مع بعض.

وقبل أن نكمل الحوار الذي يحدث بينهم، أريد أن أتكلم عن عدة نقاط:

أولًا: إذا كانت كل أمة من أهل الضلال تلعن الأمة السابقة لأنها دلست عليها في الدين، وأفسدت لها الدين، فينبغي على كل أمة في الخير أن تشكر كل أمة سابقة نقلت إليها الدين وحفظته لها؛ أي ينبغي الآن على كل أمة تسير على الهدى والحق أن تشكر أفعال السابقين، وألا تحمل في قلبها غلًّا للسابقين الذين بذلوا لنصرة هذا الدين حتى وصل إلينا؛ من أول جهد النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين وأتباعهم إلى يوم القيامة، ينبغي أن نشكر لهم صنيعهم لا أن نلعنهم؛ لأنهم بذلوا وضحوا حتى يصل إلينا الدين، فإذا كانت هذه أخلاق أهل الضلالة مع بعضهم البعض لأنهم دلسوا على بعضهم، فلنشكر نحن صنيع من قدم لنا وبذل حتى يصل إلينا هذا الدين.

ثانيًا: إذا كان الله سمى العلاقة بينهم إخوة، فينبغي أيضًا أن تكون العلاقة بيننا وبين من يسير على نفس نهجنا وطريقتنا علاقة إخوة؛ وهذه أيضًا تشير إلى قضية التعصب التي ذكرناها في "عند كل مسجد"؛ حيث يجب علينا أن ننفي هذا الأمر، لأن هذا الملمح -جزى الله الدكتور حازم خيرًا عندما أشار إليه- مستمر معنا في مسألة {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}[الأعراف:٤٣]، ومسألة {لَعَنَتْ أُخْتَهَا}، وقد وجدت هذا المعنى محورًا من محاور السورة، فينبغي أيضًا أن ندرك أنّ هذا التفريق، ولعن بعضنا بعضًا هو من وسائل الشيطان.

{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} وتظل هذه الأمم تتجمع؛ كل أمة عاشت في فترة زمنية معينة، تدخل مع الأمة التي سبقتها على نفس النهج من الضلال، فتشتم الأمة السابقة، إلى أن تتجمّع المجموعة كلها في النار والعياذ بالله.

فأهل الضلال في مسألة ما -المجوس مثلًا- يتجمعون كلهم -على كل الفترات الزمنية- في النار {حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا}.

{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ} و"أخراهم"؛ أي: الأمة المتأخرة زمنيًّا التي أتت في فترة زمنية متأخرة، وقال بعضهم بأن "أخراهم" تعني: المتأخرين في المكانة؛ أي: الأتباع والأراذل الذين لم يكن عندهم عقل.

أما "أولاهم" فهم المتقدمون زمنيًّا الذين شرعوا هذا الضلال، حيث قلنا في المرة الماضية أن العقائد لها دورة زمنية معينة؛ فعندما يبدأ تأصيل العقيدة لا يكون الضلال واضحًا، ثم تأتي أجيال تلو أجيال تلو أجيال، وتتغير عقائدهم، إلى أن يأتي جيل في قمة الكفر والشرك، فيأتي يوم القيامة ويقول لمن وضع أصل هذا الشرك والضلال وكان متقدمًا عنه زمنيًّا أنه هو السبب.

{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ} و"أولاهم" يقصد بها:

-إما المتقدم زمنيًّا؛ أي أول من شرع قضية الضلال، ثم تلقته الأجيال من بعده، ومن هنا ندرك أنه يجب على كل جيل يأتي أن يفكر ولا يقبل بأي شيء، ويقول: {وجدنا ءاباءنا على أمة}، كما قالوا: {وجدنا عليها ءاباءنا و الله أمرنا بها} فهؤلاء الذين قالوا: {وجدنا عليها ءاباءنا}[الأعراف:٢٨] عندما يدخلون النار سيقولون لآبائهم أنهم هم السبب {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ}.

- أو المتقدمين في المكانة؛ أي: القادة المتبوعون الذين كانوا يأمرون وينهون.

إذًا؛ أخراهم الذين هم الأتباع الأراذل والسفلة، أو المتأخرون زمنيًّا؛ وبعضهم قال هذا أشبه بقوله تعالى: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ}[الواقعة:٣٩-٤٠]، يقولون {لأولاهم}، وهذه اللام للعلة؛ أي: لأجل، فهم لم يكونوا يتكلمون معهم، وإنما يتكلمون مع ربنا عنهم؛ لأن الكلام مع ربنا {قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا}، فهل عرفتم الآن أن لكم ربًّا؟!

{رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ} هؤلاء: اسم إشارة للقريب؛ فهم معهم في النار، وكأنهم في منزلة واحدة في جهنم.

{هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا}؛ أي: يا رب هؤلاء هم من خدعونا وغرروا بنا، ونحن كنا نريد أن نطيعك ونصل إليك.

{فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ}؛ لأنهم مع بعض في نفس المنزلة {ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا} لذلك فهم متعجبون، فكيف يكونون معهم وهم الأتباع الأراذل، الذين لم يحصّلوا شيئًا، وإنما كانوا ينفذون فحسب؟!، بينما المتبوعون هم من كانوا يأخذون الأموال.

{هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ} انظر إلى حجم الغضب والحقد!، فهم لم يسألوا ربهم أن يخرجهم من النار، بل {آتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ}؛ فالأتباع المقلدون الذين قلدوا ونفذوا من دون تفكير، يقولون عن القادة يا رب هؤلاء الذين ضيعونا {هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ}

فبماذا رد عليهم ربنا؟، ربما توقع هؤلاء الضعفاء أن يقول لهم ربنا أنكم كنتم بالفعل صالحين ليس لكم ذنب، وهؤلاء هم من كانوا السيئين، فسأبقيهم في النار، وأخرجكم أنتم منها وأدخلكم الجنة، لكنه قال: {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ}[الأعراف:٣٨]؛ أي: لكل منكم –الأتباع والقادة– عذاب يستحقه ويُضاعف له.

فأما بالنسبة للمتبوعين والقادة الذين أضّلوا للضلال فإننا نتفهم لمَ يُضاعف لهم العذاب؛ فهم الذين أضلوا الناس عندما أصلوا للضلال ونشروه، وأخذوا العائد المادي؛ لأن الضلال دائمًا يكون من ورائه عائد مادي، كما في حالة أهل مكة عندما كانوا يضعون الأصنام، فتأتي القرابين للأصنام فيأخذونها ويخدعون الناس –إذ ليس من المعقول أن تكون الأصنام هي من يأخذ القرابين–، فهم الذين استفادوا دنيويًّا، وحققوا المكانة الدنيوية والسؤدد والشرف؛ لذلك قد يتفهم الإنسان ببساطة لمَ يأخذ القادة أو المتبوعون عذابًا ضعفًا في النار.

أما الأتباع المساكين الذين غُرر بهم، أو يعتقدون أنهم غرّر بهم، فلماذا يأخذون ضعفًا من العذاب؟!

وقضية الأتباع والمتبوعين في القرآن تحتاج إلى دراسة، وذكرت كثيرًا في عدة سور، وجزى الله الدكتور صلاح الخالدي خيرًا؛ حيث ألّف بحثًا –وإن كان صغيرًا– بعنوان: "الأتباع والمتبوعون في القرآن" أنصح بقراءته؛ فهو بحث قيّم.

فقد ذكرت قضية "الذين استضعفوا، والذين استكبروا"، والحوار الذي يدور بينهم بكثرة في سورة غافر، وسورة ص، وهنا في سورة الأعراف، وسورة سبأ، وفي سورة البقرة: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا}، وفي أكثر من موطن في القرآن.

وهنا سماهم ربنا "أخراهم وأولاهم" ، ولم يسمِّهم مستضعفين ومستكبرين؛ لأنهم هنا أجيالٌ تأتي بعد أجيالٍ حدث لهم ضلال، وهدف الشيطان إضلال كل الأجيال القادمة؛ لذلك جاء التعبير بكلمة "أخراهم وأولاهم"؛ فالقضية ليست قضية استضعاف.

إذًا؛ فنحن قد عرفنا لماذا يُضاعف العذاب للقادة {لِكُلٍّ ضِعْفٌ}، لكن لماذا يُضاعف العذاب لهؤلاء الأتباع "أخراهم"؟

قال بعض أهل العلم لأنهم لم يشكروا الله على نعمة العقل، ووصول الرسالة إليهم؛ فهم لم يتفكروا {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:١٠]، وأيضًا لأنه لولا وجود هؤلاء المستضعفين لما كان هناك قادة، كما يقول المثل المصري الشهير الذي يلخص القضية كلها : "قالوا: يا فرعون ما الذي فرعنك ، قال: لم أجد من يردني".

ولذلك قال أحد أهل العلم، وهو ابن عاشور-فيما أذكر-: أن هذا الخطاب: {وَلَكِن لا تَعْلَمُونَ} هو للمستضعفين؛ بمعنى أنكم لا تعلمون مدى جرمكم، وكيف أنكم تسببتم أيضًا في إضلالهم؛ فأنتم الذين شجعتوهم على الاستمرار في مكانهم، وأعطيتموهم السؤدد والشرف والمكانة والمال؛ فكيف لا يستمروا! فكنتم من أسباب إغوائهم من دون أن تعلموا ذلك، ولهذا يضاعف لكم العذاب، {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَا تَعْلَمُونَ} ويعاقب كلٌّ منكم على حسب جريمته.

{وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ} "أولاهم" يسمعون وهم في النار ما يقوله الأتباع والأراذل "أخراهم" لربنا، حين سألوه أن يضاعف لهم العذاب، فيردون عليهم بأننا كلنا مثل بعضنا البعض، فيقول أولاهم لأخراهم {فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} [الأعراف:٣٩].

وقد اختلفوا في المقصود من: {فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ}:

- فإما أنهم يتكلمون عن الدنيا، بمعنى أن السادة يقولون للأتباع: لا تتظاهروا بأنكم كنتم تريدون اتباع الدين، فقد استمتع بعضنا ببعض؛ نحن أضللنا الضلال، وأنتم كنتم تريدون ذلك، وقد كان هناك أناس صالحون فلمَ لم تنحازوا إليهم؟

ولذلك فإن أحد الحوارات التي جرت في سورة (ص)في النار، بعدما فُصل الأمر بينهم، وقال المستضعفون -أيضًا- يارب من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار، هو: {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ} [ص:٦٢]

فالمستضعفون هنا يقولون بأن القادة أخبروهم عن بعض الناس أنهم من الأشرار، فلماذا هم ليسوا معهم في النار؟!

هل كانوا يعتقدون أنهم أشرار، ويسخرون منهم، ثم تبيّن العكس؟ {كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ* أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا}، أم أنهم في النار، ولكنهم لا يرونهم من شدة العذاب؟ {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}[ص:٦٣]

{مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ}، فالمتبوع يقول للمتبِّع: بما أنك كنت تعلم بأن هناك أناسًا يخالفوننا، لماذا لم تنحز إليهم وتتبعهم؟ فأنت الذي اخترت أن تبقى معي، فلا تقل الآن بأنك كنت تريد أن تكون صالحًا {فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ}؛ أي: لم يكن لكم فضل دين في الدنيا.

-أو أن المقصود من {فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} : أن ربنا لن يفضلكم علينا، وسنبقى كلنا معذبين في الآخرة.

{فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}[الأعراف:٣٩]

فإما أنّ القادة يقولون للأتباع "فَذُوقُوا"، أو أنّ ربنا يقول للطرفين بأن كل واحد اكتسب شيئًا، سوف يعاقب عليه -الباء في "بما" باء السببية-؛ أنت أخذت السؤدد والمكانة، وأنت استفدت من وجوده معك، وكلاكما استمتعتما ببعضكما البعض {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}

{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا}[الأعراف:٤٠] ومرة أخرى يتكرر معنى "تكذيب الآيات" و"الاستكبار عنها"، وهذا المعنى سيظل متكررًا معنا على طول السورة.

{لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} فعند لحظة الموت {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ}[الأعراف:٣٧]، وعندما تطلع الروح {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}؛ فكما كانوا مستكبرين عن الدخول في الدين، وكانوا لا يدخلون المسجد حتى يلج الجمل في سم الخياط، كذلك {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}[الأعراف:٤٠].

كان مستكبرًا معرضًا ومصرًّا على عدم الدخول في الدين، لذلك يعامل بنفس المعاملة، ألم تكن مستكبرًا، والكبر فيه نوع من العلو والارتفاع، فأنت لن يُسمح لك بدخول السماء {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} وتُلقى في الأرض -والعياذ بالله-.

كما في الحديث المشهور عن البراء بن عازب: إذا صعدت روح الكافر والفاجر والمنافق لا تُفتح لها أبواب السماء، وتلقى من السماء، أما روح المؤمن فتفتح لها أبواب السماء[٤] ، لأنه كان يقبل على الله -عز وجل-، ولأنه كانت تصعد منه

[٤] [عن البراء بن عازب:] خَرَجْنا مع النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في جَنازةِ رجلٍ من الأنصارِ ، فانْتَهَيْنا إلى القبرِ ولَمَّا يُلْحَدْ ، فجلس رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ ، وجَلَسْنا حَوْلَهُ ، وكأنَّ على رُؤُوسِنا الطَّيْرَ ، وفي يَدِهِ عودٌ يَنْكُتُ في الأرضِ ، فجعل يَنْظُرُ إلى السماءِ ، ويَنْظُرُ إلى الأرضِ ، وجعل يرفعُ بَصَرَهُ ويَخْفِضُهُ ، ثلاثًا ، فقال : اسْتَعِيذُوا باللهِ من عذابِ القَبْرِ ، مَرَّتَيْنِ ، أو ثلاثًا ، ثم قال : اللهم إني أعوذُ بك من عذابِ القبرِ ثلاثًا ، ثم قال: إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقِطاعٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرةِ ، نَزَلَ إليه ملائكةٌ من السماءِ ، بِيضُ الوُجُوهِ ، كأنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ ، معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنةِ ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنةِ ، حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ ، ثم يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلامُ حتى يَجْلِسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ : أَيَّتُها النَّفْسُ الطيبةُ وفي رواية : المطمئنةُ ، اخْرُجِي إلى مغفرةٍ من اللهِ ورِضْوانٍ ، قال : فتَخْرُجُ تَسِيلُ كما تَسِيلُ القَطْرَةُ من فِي السِّقَاءِ ، فيأخُذُها ، وفي روايةٍ : حتى إذا خَرَجَتْ رُوحُه صلَّى عليه كُلُّ مَلَكٍ بينَ السماءِ والأرضِ ، وكُلُّ مَلَكٍ في السماءِ ، وفُتِحَتْ له أبوابُ السماءِ ، ليس من أهلِ بابٍ إلا وهم يَدْعُونَ اللهَ أن يُعْرَجَ برُوحِهِ من قِبَلِهِمْ ، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يأخذوها فيَجْعَلُوها في ذلك الكَفَنِ ، وفي ذلك الحَنُوطِ ، فذلك قولُه تعالى : تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ، ويخرجُ منها كأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ ، قال : فيَصْعَدُونَ بها فلا يَمُرُّونَ – يعني – بها على مَلَأٍ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فيقولونَ : فلانُ ابنُ فلانٍ – بأَحْسَنِ أسمائِهِ التي كانوا يُسَمُّونَهُ بها في الدنيا ، حتى يَنْتَهُوا بها إلى السماءِ الدنيا ، فيَسْتَفْتِحُونَ له ، فيُفْتَحُ لهم ، فيُشَيِّعُهُ من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها ، إلى السماءِ التي تَلِيها ، حتى يُنْتَهَي به إلى السماءِ السابعةِ ، فيقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : اكْتُبُوا كتابَ عَبْدِي في عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ فيُكْتَبُ كتابُه في عِلِّيِّينَ ، ثم يُقَالُ : أَعِيدُوهُ إلى الأرضِ ، فإني وَعَدْتُهم أني منها خَلَقْتُهُم ، وفيها أُعِيدُهم ومنها أُخْرِجُهُم تارةً أُخْرَى ، قال : فيُرَدُّ إلى الأرضِ ، و تُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، قال : فإنه يَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِ أصحابِه إذا وَلَّوْا عنه مُدْبِرِينَ ، فيَأْتِيهِ مَلَكانِ شَدِيدَا الانتهارِ فيَنْتَهِرَانِهِ ، ويُجْلِسَانِهِ فيَقُولانِ له : مَن ربُّكَ ؟ فيقولُ : رَبِّيَ اللهُ ، فيقولانِ له : ما دِينُكَ ؟ فيقولُ : دِينِيَ الإسلامُ ، فيقولانِ له : ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقولُ : هو رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فيقولانِ له : وما [علمُكَ] ؟ فيقولُ : قرأتُ كتابَ اللهِ ، فآمَنْتُ به ، وصَدَّقْتُ ، فيَنْتَهِرُهُ فيقولُ : مَن رَبُّكَ ؟ ما دِينُكَ ؟ مَن نبيُّكَ ؟ وهي آخِرُ فتنةٍ تُعْرَضُ على المؤمنِ ، فذلك حينَ يقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ، فيقولُ : رَبِّيَ اللهُ ، ودِينِيَ الإسلامُ ، ونَبِيِّي مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فيُنَادِي مُنَادٍ في السماءِ : أن صَدَقَ عَبْدِي ، فأَفْرِشُوهُ من الجنةِ ، وأَلْبِسُوهُ من الجنةِ ، وافْتَحُوا له بابًا إلى الجنةِ ، قال : فيَأْتِيهِ من رَوحِها وطِيبِها ، ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ بَصَرِهِ ، قال : ويَأتِيهِ- وفي روايةٍ : يُمَثَّلُ له- رجلٌ حَسَنُ الوجهِ ، حَسَنُ الثيابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فيقولُ : أَبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ ، أَبْشِرِ برِضْوانٍ من اللهِ ، وجَنَّاتٍ فيها نعيمٌ مُقِيمٌ ، هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعَدُ ، فيقولُ له : وأنت فبَشَّرَكَ اللهُ بخيرٍ مَن أنت ؟ فوَجْهُكَ الوجهُ يَجِيءُ بالخيرِ ، فيقولُ : أنا عَمَلُكَ الصالحُ فواللهِ ما عَلِمْتُكَ إلا كنتَ سريعًا في طاعةِ اللهِ ، بطيئًا في معصيةِ اللهِ ، فجزاك اللهُ خيرًا ، ثم يُفْتَحُ له بابٌ من الجنةِ ، وبابٌ من النارِ ، فيُقالُ : هذا مَنْزِلُكَ لو عَصَيْتَ اللهَ ، أَبْدَلَكَ اللهُ به هذا ، فإذا رأى ما في الجنةِ قال : رَبِّ عَجِّلْ قيامَ الساعةِ ، كَيْما أَرْجِعَ إلى أهلي ومالي ، فيُقالُ له : اسْكُنْ ، قال : وإنَّ العبدَ الكافرَ- وفي روايةٍ : الفاجرَ- إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرةِ ، نَزَلَ إليه من السماءِ ملائكةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ، سُودُ الوجوهِ ، معَهُمُ المُسُوحُ من النارِ ، فيَجْلِسُونَ منه مَدَّ البَصَرِ ، ثم يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلِسَ عند رأسِهِ ، فيقولُ : أَيَّتُها النَّفْسُ الخبيثةُ اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من اللهِ وغَضَبٍ ، قال : فتَفَرَّقُ في جَسَدِهِ فيَنْتَزِعُها كما يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ الكثيرُ الشُّعَبِ من الصُّوفِ المَبْلُولِ ، فتَقْطَعُ معها العُرُوقَ والعَصَبَ ، فيَلْعَنُهُ كلُّ مَلَكٍ بينَ السماءِ والأرضِ ، وكلُّ مَلَكٍ في السماءِ ، وتُغْلَقُ أبوابُ السماءِ ، ليس من أهلِ بابٍ إلا وهم يَدْعُونَ اللهَ أَلَّا تَعْرُجَ رُوحُهُ من قِبَلِهِمْ ، فيَأْخُذُها ، فإذا أخذها ، لم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عينٍ حتى يَجْعَلُوها في تِلْكَ المُسُوحِ ، ويخرجُ منها كأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ ، فيَصْعَدُونَ بها ، فلا يَمُرُّونَ بها على مَلَأٍ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذا الرُّوحُ الخَبِيثُ ؟ فيقولونَ : فلانُ ابنُ فلانٍ – بأَقْبَحِ أسمائِهِ التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا ، حتى يُنْتَهَي به إلى السماءِ الدنيا ، فيُسْتَفْتَحُ له ، فلا يُفْتَحُ له ، ثم قرأ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} فيقولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : اكْتُبُوا كتابَه في سِجِّينَ في الأرضِ السُّفْلَى ، ثم يُقَالُ : أَعِيدُوا عَبْدِي إلى الأرضِ فإني وَعَدْتُهُمْ أني منها خَلَقْتُهُمْ ، وفيها أُعِيدُهُمْ ، ومنها أُخْرِجُهُمْ تارةً أُخْرَى ، فتُطْرَحُ رُوحُهُ من السماءِ طَرْحًا حتى تَقَعَ في جَسَدِهِ ثم قرأ : {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} فتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، قال : فإنه لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِ أصحابِهِ إذا وَلَّوْا عنه . ويَأْتِيهِ مَلَكانِ شَدِيدَا الانتهارِ ، فيَنْتَهِرَانِهِ ، ويُجْلِسَانِهِ ، فيَقُولانِ له : مَن ربُّكَ ؟ فيقولُ : هاه هاه لا أَدْرِي ، فيقولانِ له : مادِينُكَ ؟ فيقولُ : ها هاه لا أَدْرِي ، فيقولانِ : فما تَقُولُ في هذا الرجلِ الذي بُعِثَ فيكم ؟ فلا يَهْتَدِي لاسْمِهِ ، فيُقالُ : مُحَمَّدٌ ! فيقولُ :

الأعمال إلى السماء طيلة حياته {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[فاطر:١٠]، أما هؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح، فروحه الآن تسير في طريق غريبة شاذة لم تصعد له فيها أعمال من قبل.

بينما روح المؤمن تصعد في نفس الأماكن التي كانت تصعد منها الطاعات؛ لذلك فهي تصعد بسهولة ويسر، فالكافر لم تصعد منه أعمال من قبل، فهل تريد روحك أن تصعد الآن؟! لقد كنت ملتزمًا بالأرض {وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}[الأعراف:١٧٦] فلتُلقى روحك فيها –والعياذ بالله–.

{لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}؛ وهذا الأسلوب أسلوب تهكمي؛ فهو عندما يسمع {لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ..} ربما يعتقد أن هناك أملًا، فينتظر ليعلم متى يدخل الجنة {حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}[الأعراف:٤٠] .

وقد قال كثير من أهل العلم بأنّ (الجمل) هو: الجمل المعروف، وهذا مروي عن ابن مسعود وكثير من الصحابة؛ حتى أنّ بعضهم كان ينص على ذلك –حتى لا يُفهم بأن له معنى آخر–؛ فيقول: "الجمل ذو القوائم الأربع زوج الناقة"، وهذا كان رأي ابن مسعود ومدرسته، وكثير من السلف.

{سَمِّ الْخِيَاطِ}؛ يعني: ثقب الإبرة، فالخياط هو: المخيط أو الإبرة التي تخيط.

"سَمّ": من ريح السموم التي تدخل في كل ثقب من الجسم، والسُم سمي بذلك لأنه يتغلغل في كل جزئية من الجسد، فالسَم، أو ما يسمونه " الخرت" هو: الثقب الصغير؛ لذلك يقال عن فلان أنه: خرّيت؛ أي يستطيع أن يسير في الأماكن الضيقة.

هاه هاه لا أَدْرِي سَمِعْتُ النَاسَ يقولونَ ذاك ! قال : فيُقالُ : لا دَرَيْتَ ، ولا تَلَوْتَ ، فيُنادِي مُنَادٍ من السماءِ أن : كَذَبَ ، فأَفْرِشُوا له من النارِ ، وافْتَحُوا له بابًا إلى النارِ ، فيَأْتِيهِ من حَرِّها وسَمُومِها ، ويُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ حتى تَخْتَلِفَ فيه أضلاعُه ، ويَأْتِيهِ وفي روايةٍ : ويُمَثَّلُ له رجلٌ قبيحُ الوجهِ ، قبيحُ الثيابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فيقولُ : أَبْشِرْ بالذي يَسُوؤُكَ ، هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعَدُ ، فيقولُ : وأنت فَبَشَّرَكَ اللهُ بالشرِّ مَن أنت ؟ فوجهُك الوجهُ يَجِيءُ بالشرِّ ! فيقولُ : أنا عملُكَ الخبيثُ ، فواللهِ ما عَلِمْتُ إلا كنتُ بطيئًا عن طاعةِ اللهِ ، سريعًا إلى معصيةِ اللهِ ، فجزاك اللهُ شرًّا ، ثم يُقَيَّضُ له أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ في يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ ! لو ضُرِبَ بها جبلٌ كان ترابًا ، فيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حتى يَصِيرَ بها ترابًا ، ثم يُعِيدُهُ اللهُ كما كان ، فيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كلُّ شيءٍ إلا الثَّقَلَيْنِ ، ثم يُفْتَحُ له بابٌ من النارِ ، ويُمَهَّدُ من فُرُشِ النارِ ، فيقولُ : رَبِّ لا تُقِمِ الساعةَ .

الألباني (ت ١٤٢٠)، أحكام الجنائز ١٩٨ • القسم الأول منه إلى قوله: وكأن على رؤوسنا الطير صحيح على شرط الشيخين • أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٥٨) باختلاف يسير، والنسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩) مختصراً •

إذًا؛ (سم الخياط) هو هذا الثقب الضيق للإبرة، فتخيل مشهد محاولة دخول الجمل -والجمل عند العرب هو أكبر حيوانٍ يرونه عندما يسيرون في الصحراء- في ثقب الإبرة! إنها -بلا شك- محاولة بائسة يائسة، وهذا هو مشهد الذي يحاول أو يظن بأن لديه أملًا في دخول الجنة بعد أن كذب بآيات الله واستكبر عنها.

{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ}

ورُويت عن ابن عباس قراءة شاذة ليست ضمن العشر المتواترة "حتى يلج الجُمّل"؛ الجُمّل بتضعيف الميم، أو بتخفيفها "الجُمَل" ، والقراءة الأشهر هي "الجُمّل" وهو: حبل السفينة، أو الحبل الغليظ، وأيضًا فالمشهد هنا أن الحبل الغليظ في شدة غلظته وعظمه لا يدخل في سمّ الخياط؛ وهذا مروي عن ابن عباس ومدرسته كلها؛ مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

لكن المعنى الأشهر -كما ذكرت- هو: الجمل الحيوان المعروف؛ لأننا نقرؤه بالقراءة المتواترة "الجَمَل"، والخلاف هنا لا يضر -أيًّا كان المعنى-؛ لأن الغرض هو الاستحالة، فهو مثل عربي يضرب للاستحالة {حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ}، كما يقولون سوف أعطيك إذا شاب الغراب؛ بمعنى أن يصبح لونه أبيضًا؛ وهذا مثل يضرب للاستحالة.

{وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} ؛ وفي هذه إشارة إلى أن التكذيب بالآيات والاستكبار عنها جريمة من أشد الجرائم؛ فقد سمى الله -عز وجل- من يفعل ذلك مجرمًا، وينبغي علينا إعادة استعمال مصطلحات القرآن في أوضاعها الحقيقية؛ فمبدل الشرع، ومغير الشرع، والمعرض عنه، والمستكبر عنه هو مجرم؛ لأن الذي يريد أن يصرف الشمس والنور عن الناس هو مجرم، فكذلك الذي يريد أن يصرف الوحي والشرع عن الناس مجرم، بل هو أشد إجرامًا، فسماه الله هنا مجرمًا {وكذلك نجزي المجرمين}.

{ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}[الأعراف:٤١]

مهاد؛ أي: من أسفل منهم، ومن فوقهم غواش -والعياذ بالله-، فكما أحاطوا بالناس وأرادوا أن يمنعوا عنهم الدين، فكذلك تحيط بهم جهنم، وقد أخبر الشيطان في أول هذه السورة أنه سوف يحيط بالناس من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ولم يذكر فوق وتحت، أما هنا من فوقهم غواش ومن تحتهم مهاد، فكما يفعل شياطين الإنس

والجن بإحاطة الناس حتى لا يصل إليهم الدين فيكون من عقوبتهم في النار والعياذ بالله أن تحيط بهم النار، { لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ} أي من أسفل منهم، {وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}.

{وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}: فهم قد ظلموا الناس، وظلموا أنفسهم بإبعادهم عن الوحي.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}؛ أي أنه على الرغم من وجود القادة والسادة، وفريق المضلين، ووجود كل هذه الشهوات والشبهات، ظهر فريق لأهل الإيمان وثبت على ذلك، وهذا الفريق كان في وسعه النجاة {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}؛ وذلك حتى لا يحتجّ أحدهم بأنه قد يُضل، أو يُخدع، ويغرر به كما غُرّر بالأتباع؛ فأنت إذا بذلت ما في وسعك، فقد فعلت ما يرضاه الله منك.

لذلك يقول الله هنا {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي بالرغم من وجود المتبوعين والقادة، والأتباع الأراذل، ورغم انتشار الشبهات والشهوات كان هناك فريق من أهل الإيمان {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا}[المؤمنون:١٠٩] فأين أنت منهم؟

ثم يخبرنا الله –عز وجل– أن هذا في وسعك طالما أنه اختارك لتكون موجودًا في هذا الزمان؛ إذًا أنت تستطيع، فالمرء يبتلى على قدر دينه، هذه الجملة المعترضة {لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} لتسكب في قلبك الطمأنينة؛ حتى لا تعتقد بأنك لا تستطيع.

وقد ذكر كثير من أهل العلم، ورُوي أيضًا عن سيدنا معاذ بن جبل أن الله –عز وجل– لم يقل: "لا نكلف نفسًا إلا جهدها"، فليس مطلوبًا منك بذل أقصى جهدك وغايته، وإنما الوُسع؛ وهو غير الجهد، ففي سورة التوبة {وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ}[التوبة:٧٩] كان الكلام عن من يحتطب، وهو لا يملك المال، فيجتهد ويتعب حتى يحصّل القليل من المال.

أما الوُسع فهو أن تقوم بالفعل وأنت في نوع من الأريحية، وليس آخر الجهد، ليس مطلوبًا منك أن تبذل أقصى جهدك؛ بل لو فعلت حتى المتوسط فإنك تنجو، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[الأعراف:٤٢] أنت تقول الأمر في وسعي، والمروي عن معاذ رضي الله عنه أنه قال: المقصود يُسرها لا عسرها؛ أي ما يستطيعه.

هذه الجملة المعترضة هامة جدًّا؛ لأن سياق الآيات قد يجعل أحدنا يخاف، فيقول: أنا لا أعرف، ربما أكون مخدوعًا ومغررًا بي، فهنا يقول ربنا –سبحانه وتعالى-: ارجع، واقرأ الآيات مرة أخرى، وانظر بمن تثق، وخطاب من ستتبع؛ هل يتكلمون بالآيات، هل ستتبع الرسل، ومن يقص عليك الآيات؟، أم ستتبع أهل الضلال، وأهل البغي والظلم؟، أين هو موقعك؟ وفي أي طريق ستسير؟

{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}؛ أصحاب الجنة هؤلاء لا يعني كونهم من أصحاب الجنة أنه ليس بينهم خلاف، بل كان بينهم بعض الاختلافات.

ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا شرعًا أن نقيم وجوهنا عند كل مسجد، ولا نتعصب لحزب، أو جماعة، أو مسجد معين؛ هذا هو أمر الله الشرعي، لكن أمره القدري أنه سيظل بيننا خلاف، وندافع هذا بهذا؛ ندافع الشرع بالقدر، وندافع القدر بالقدر، فنحاول قدر المستطاع أن نقلل هذا الخلاف، لكنه سيستمر ولن ينتهي، وقد كان هناك درس كامل في سورة الأنعام –أظنه الدرس السادس– تكلمت فيه عن قضية الخلاف؛ في قوله –سبحانه وتعالى-: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ}[الأنعام:٦٥]، وأن الأمر يمر بثلاث مراحل: اللبس، ثم الشيع، ثم إذاقة البأس؛ أي أنه في البداية يحدث لبس في الأمور، فنتشيع، ثم نذيق بعضنا البأس بدل أن نذيقه لغيرنا، والأمر موجود بالتفصيل في سورة الأنعام.

فسيظل بيننا خلاف، وهذا الخلاف جعله الله –عز وجل– بيننا كنوع من أنواع البلاء؛ فالذي يظن أن كل خلاف سيرفع هذا واهم، لن يحدث، فالخلاف أشبه بوضع الشهوة في الإنسان؛ فهي ستظل موجودة، لكنه يحاول أن يضعها في الحلال، ويكبحها؛ بأن يصوم، ويغض البصر...، فكذلك الخلاف، ماذا نفعل عند الخلاف؟ ينبغي ألا نحسد بعضنا، ولا نحقد، ولا يطعن بعضنا في ظهر بعض، وأن نتغاضى ونتغافل؛ فهذه هي أخلاق الخلاف.

ووجود الخلاف يترتب عليه طاعات عظيمة جدًّا، لكن الإنسان عنده دائمًا قصر نظر، فتراه يتساءل لماذا لم يجعل ربنا كل النصوص قاطعة، مع أن وجود النصوص بهذه الطريقة قد أنشأ علومًا وعلماء، وفقهًا واجتهادًا، وبذلًا وتضحية لفهم مراد الله –سبحانه وتعالى-، وكل هذه الطاعات كانت ستختفي لو أن الدين كان قاطعًا في توضيح مراد الله.

كذلك فإن من يعتقد بأنه من الأفضل أن يكون الدين كله موحدًا دون أي خلاف، يغفل عن أن هناك الكثير من الطاعات التي تظهر في الخلاف، ولا يعلمها إلا الله؛ كأن تضغط على نفسك من أجل أخيك، وتتغاضى وتتغافل، وهذا الأمر يحتاج تحديدًا للأولويات؛ فهل غضبك من أخيك يعد الأولوية؟

وعندما يكون معك عشر أسهم، توجه تسعة منهم نحو صدر أخيك وظهره، وتعتقد أنك بهذا تدافع عن الدين، ولا يبقى معك إلا سهم واحد تتكاسل أن ترمي به عدوه؛ ثم تقول أنا أدافع عن الدين!!

فالقضية إذًا؛ أن الخلاف سيظل موجودًا، وسوف يدخلون الجنة، وهذا الغل موجود إلى أن ينزع قبل أن يدخلوا الجنة، سيظل إلى لحظة الدخول يقول ربنا -سبحانه وتعالى-:

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ}[الأعراف:٤٣] ومعنى ذلك أن هذا الغل يكون موجودًا في صدر الإنسان حتى لو كان طائعًا؛ لذلك حاول بعض أهل العلم أن يهرب من هذا المعنى، فقالوا بأن المقصود هنا هو: الغل في الآخرة، وليس في الدنيا، وكلمة "غل" يقصد بها الحسد؛ أي: لا يحسد بعضهم بعضًا لتفاوت درجاتهم في الجنة.

إذًا؛ فإن بعض أهل العلم قالوا: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ}؛ أي: حتى لا يحسدوا بعضهم إذا دخلوا الجنة؛ لأن فيها تفاوتًا، والجنة دار نعيم؛ فينزع هذا الغل حتى لا يشعر بنوع من الحسد إذا وجد أن أخاه قد سبقه في الجنة.

وقال بعضهم بأن هذا ما كان بينهم في الدنيا، وفي الآثار المروية عن علي بن أبي طالب، وما كان بينه وبين الزبير وطلحة إشارة إلى ذلك -وإن كان في سندها كلام-؛ بأن هذه الخلافات تنزع حتى تستقر الجنة، وكأن الجنة لا تكتمل بوجود هذا الغل بيننا؛ فمن أراد جنة الدنيا، فلينزع هذا الغل من صدره تجاه إخوانه.

ومن معاني الغل: أنه الشيء الخفي الدقيق الذي يدخل في المسام ويتغلغل فيها، وقيل بأن كلمة "يتغلغل" مشتقة من غل؛ فيقال: شيء تغلغل وبلغ في صدره؛ أي أنه يظل يتسرب ويزداد في صدرك من دون أن تشعر، وظل يزداد ويزداد، حتى إذا كمن هذا الغل واستقر في صدرك، أصبح هذا الشعور يقيدك، فالغل من معانيه: القيد؛ فتصبح غير قادر على أن تحب أخاك، أو تخدمه، وتجد أن في صدرك غيظًا وحقدًا وغضبًا تجاهه؛ أخوك يحتاج إلى مساندتك، وأنت لا تستطيع، وتستغرب من عدم قدرتك! وذلك لأن هناك قيدًا في صدرك، وهذا القيد والغل لم يظهر مرة واحدة بل ظل يتمكن في القلب شيئًا فشيئًا، ويتغلغل كما السموم؛ فهو أيضاً يدخل بنفس الطريقة.

ويقال أيضًا: أنه من غل شعره بشيء كالدهن؛ أي: بلغ أصول الشعر.

فالغل يظل يتمكن في شعاب القلب والصدر، حتى يتمكن منه ثم يصبح قيدًا؛ لذلك لم تأتِ معه كلمة "ورفعنا"، وإنما جاءت معه كلمة "ونزعنا" لتمكنه من القلب؛ فالنزع يكون لشيء متمكن، أو فيه معنى التضاد والعكس؛ كما في: {يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا}[الأعراف:٢٧]، أو {وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ}[آل عمران:٢٦].

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}؛ أي: استقر في الصدر، و"ما" هذه المبهمة؛ لأنه قد يكون غلًّا عظيمًا، وقد يكون أيضًا شيئًا بسيطًا؛ فهي تأتي للكثرة، وللقلة.

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ} حتى "من" عندما تأتي في سياق نفي، وهي نكرة؛ تعني: لا يبقى في صدورهم أي غل؛ فيلقون بعضهم في الجنة، لا يتذكرون أبداً أي شيءٍ تجاه بعضهم البعض، لا يذكرون إلا الحب والمودة والألفة، عكس من يلعن بعضهم بعضًا، يوجد معاكسة بين هناك: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا}[الأعراف:٣٨]؛ وهنا: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}[الحشر:١٠].

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}

انظر إلى تواضعهم؛ فهم يحمدون الله –عز وجل– أن وفقهم لما فعلوه؛ فهم لم يفعلوا إلا ما وفقهم الله –عز وجل– له، فانظر هنا إلى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} وقارنها بجملة: {بما أغويتني} في أول هذه السورة؛ انظر كيف أن الشيطان هناك عندما أذنب قال يا رب أنت الذي أغويتني، و"أخراهم" قالوا يا رب هؤلاء هم الذين أضلونا وخدعونا، بينما هؤلاء نجحوا وبذلوا وفازوا، وينسبون الفضل إلى الله –سبحانه وتعالى–!

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ}، هناك أعرضوا عن الرسل، وذلك في الآيات من أول {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي}، أما هؤلاء فهم يعترفون بأن الرسل جاؤوا بالحق، وهم عندما استمعوا إلى كلامهم بلغوا هذه المنزلة.

{وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[الأعراف:٤٣]

وكان للشيخ يعقوب هنا لفتة جميلة جدًّا؛ حيث يقول: إذا قال العبد: بفضلك، قال الله: بعملك، وإذا قال العبد: بعملي، قال الله: بفضلي.

فإذا قال العبد هذا بفضلك يا رب {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} وأنا لم أفعل شيئًا، فربنا يقول: لا بل أنت قد عملت {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

وإذا قال العبد بعملي، كما في أثر مروي في الإسرائيليات أن الله -عز وجل- قال لملائكته: أدخلوا عبدي الجنة بفضلي، فقال: يا رب لا بعملي، وهذا الأثر طويل في الإسرائيليات، وفيه أنهم وزنوا نعمة العين، فطاشت بكل ما فعل، فقال: بفضلك يا رب، والشاهد أن العبد عليه أن يتواضع لله -سبحانه وتعالى-، ويقول دائمًا بفضلك يا رب، والله شكور رحيم -سبحانه وتعالى- {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

أسأل الله تعالى أن يرزقني وإياكم الجنة، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.